

كتاب المسلمون في البرازيل دراسة وتحقيق مخطوطة مسلية الغريب بكل أمر عجيب

دراسة وتحقيق الشيخ خالد رزق تقي الدين
رئيس مجلس مشايخ البرازيل

مخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الدمشقي " مسلية الغريب بكل أمر عجيب "، تأصيل تاريخي ووصف متميز لعالم جليل وداعية من الطراز الأول، والشيخ البغدادي عالم أديب ذو مواهب متعددة، كتب الشعر والأدب، وأتقن العلوم المختلفة إضافة للعلوم الشرعية، وتمكن من اللغتين العربية والتركية، وكان محبا للسفر والتجوال، ولقد سافر إلى الدولة العلية العثمانية في الأستانة في عهد السلطان عبد العزيز الأول^١، حيث مارس الدعوة وترقى في المناصب ليصير إماما للبحرية العثمانية، وحينما علم أن هناك سفينتان ستسافران إلى البصرة مرورا برأس الرجاء الصالح طلب الإذن لمرافقة إحداهما وكان ذلك في عهد أمير البحار محمد صالح آتيش باشا، وكان قصد الشيخ كما ذكر في مخطوطته " فطلبت المسير بإحداهما قصدا للسياحة والتأمل بكل ساحة، إذ هي تزيد اليقين ويتأكد بالنظر لعظمة القدير المبين " ^٢، وقد بدأت الرحلة في أوائل جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هجرية، وحينما وصلت السفينتان للمحيط الأطلسي هبت عاصفة قوية وحملتهما إلى بلاد بعيدة تبين بعد ذلك أنها مدينة " ريو دي جانيرو " ^٣ عاصمة دولة البرازيل في ذلك الحين، وهناك التقى بمجموعة من المسلمين البرازيليين من أصول إفريقية، والذين ألقوا عليه في الإقامة في البرازيل لتعليمهم أمور الدين الإسلامي، وقد قبل الشيخ البقاء معهم وذلك بعد مرور

^١ السلطان عبد العزيز بن الخليفة محمود بن عبد المجيد تولى الخلافة ١٢٧٧ هـ وعزل منها ١٢٩٣ هـ، قام بالعديد من الإصلاحات في الدولة العثمانية وطور الجيش والأسطول البحري العثماني ليصبح ثالث قوة بحرية في ذلك الوقت، ورفض كافة الدساتير الأوروبية، هذه التغييرات التي لم ترق إلى الغرب فقاموا بتشويه صورته، فتم العمل على عزله ثم اغتياله بعد ذلك .

^٢ مخطوطة مسلية الغريب .

^٣ مدينة ريو دي جانيرو " نهر يناير"، تم تأسيسها عام ١٥٦٥م، ويبلغ عدد سكانها ١٣ مليون نسمة، العاصمة السابقة لدولة البرازيل بعد أن كانت باهيا العاصمة الأولى، من أجمل مدن العالم وتقع على المحيط الأطلسي .

ثلاثة أيام كان قد قضاها في التشاور مع قائد السفينة حول وضع المسلمين في البرازيل والجهل الذي أصابهم، وتبديل شعائر دينهم يقول الشيخ البغدادي " وهناك تركت البواير لأجل تعليم المسلمين الذين بهذه البلاد مقيمين محتسبا لوجه رب العالمين " ٤

هذه المخطوطة تعد بلا شك عمدة للدارسين والمتابعين لتاريخ المسلمين في البرازيل وأمريكا اللاتينية، لأن من كتبها عالم جليل وأديب مخضرم، استطاع أن يصف كل ما رأى، وأن يضع تصوراتَه لإنقاذ الجالية المسلمة في ذلك الوقت، لقد أضافت هذه المخطوطة بعدا آخر على تاريخ الإسلام والمسلمين في البرازيل، حيث كان الاعتقاد السائد لدى الدارسين لتاريخ الإسلام والمسلمين في البرازيل أن قصة المسلمين الأفارقة الأوائل الذين جلبهم البرتغاليون للبرازيل للعمل على استصلاح أراضيها، تنتهي بانتهاء ثورتهم عام ١٨٣٥م في ولاية باهيا والتي كانت نتيجتها الفشل في تحقيق أهدافها لتحرير العبيد وإقامة مملكة إسلامية .

وحين وصلتنا هذه المخطوطة استكملت حلقة مفقودة في تاريخ المسلمين في البرازيل، وجاءت لتؤكد أن الإسلام استمر متواجدا وبفاعلية داخل دولة البرازيل وإن كان أتباعه يمارسونه سرا لسنين طويلة بعد فشل هذه الثورة، ولقد حاول المسلمون خلال تلك الفترة أن يوحدوا صفوفهم وكان لهم تواصل منظم بين تجمعاتهم المنتشرة في دولة البرازيل الكبيرة، ومارسوا شعائر دينهم التي شابها الكثير من التحريف نتيجة قتل مشايخهم واندساس بعض اليهود بينهم والذين عملوا على تبديل أوليات الدين الإسلامي

زيارة الشيخ عبد الرحمن البغدادي للبرازيل عام ١٨٦٦م تعتبر أول زيارة لعالم عربي مسلم للمسلمين في دولة البرازيل، بل نستطيع القول أنها أول زيارة لعالم مسلم للأمریکتین، ولقد دون الشيخ خلالها ووصف بدقة أخلاقياتهم وحياتهم وممارساتهم وتفاعلاتهم المختلفة، وحاول من خلال برنامج تربوي إسلامي التغلب على معظم المصاعب والأمراض الأخلاقية التي أصابت عدد كبير من مسلمي البرازيل .

تكمّن أهمية المخطوطة كذلك في وصف الشيخ البغدادي رحمه الله للأماكن التي زارها وهو ما يسمى جغرافية المكان، وكذلك عادات الشعب البرازيلي وكنائسه، وأنواع الأطعمة والفواكه، ووصف البلدان التي مرت عليها السفينة أثناء عودتها .

الجهود العلمية لدراسة المخطوطة

لقد ظهرت المخطوطة منذ فترة قصيرة وما زالت تحتاج للكثير من الجهود لدراستها من جوانبها المختلفة، وكذلك دراسة الحقبة التاريخية التي زامنت كتابة هذه المخطوطة سواء في البرازيل أو العالم الإسلامي وخصوصا إفريقيا الموطن الأم لمسلمي البرازيل، وسأحاول من خلال هذه الدراسة تتبع أهم الدراسات والكتابات التي تحدثت حول هذه المخطوطة .

أولا : ترجمة المخطوطة للغة العثمانية، وقد قام بهذا العمل " شريف أفندي " وقد حصلت على نسخة مصورة من الترجمة من مكتبة السلمانية في اسطنبول، وهي مسجلة تحت رقم ٤٩٧٩، وقد تمت هذه الترجمة عام ١٢٨٨ هـ يعني ٦ أعوام من تاريخ زيارة الشيخ عبد الرحمن البغدادي للبرازيل، وهذه الترجمة تضي مصداقية على وجود المخطوطة والعناية والاهتمام الذي تم بها من قبل بعض العلماء في ذلك العصر .

ثانيا : كتاب المسلمون الأوائل في البرازيل، وهو كتاب صدر باللغة التركية^٥ قام الأستاذ أحمد شرف العنتبلي بترجمة المخطوطة من اللغة العربية إلى اللغة التركية وقال معقبا " لقد ترجمت قصة رحلة السيد عبد الرحمن إلى اللغة التركية والتي لم يكن موجود عنها معلومات كافية لكي يعرفها كل شخص، وبشكل عام فقد أظهرت وأوجدت تناقضا بين الأصل والترجمة وشحت الأماكن التي رأيت أنها تتعلق بالموضوع "٦، ولقد أعد الترجمة على شكل قصة الأستاذ أحمد أوزابل، وقامت بنشرها مكتبة Kitabevi ٢٠٠٦م في استانبول بتركيا .

^٥ Brezilya'da İlk Müslümanlar عن دار النشر التركية Kitabevi .
^٦ مقدمة كتاب المسلمون الأوائل في البرازيل .

ثالثاً : كتاب مسلية الغريب بكل أمر عجيب دراسة تحليلية عن رحلة الإمام البغدادي، والكتاب هو دراسة تحليلية عن رحلة الإمام البغدادي وقد قامت بنشره مكتبة أمريكا الجنوبية – الدول العربية باللغات الثلاث العربية والبرتغالية والإسبانية عام ٢٠٠٧م، وقد تم إعداد الكتاب بناء على توصية اجتماع رؤساء الدول اللاتينية والعربية في إعلان الدوحة عام ٢٠٠٩م^٧، وقد قام بتحقيقه الدكتور باولو دانيال إلياس فرح أستاذ الأدب بجامعة ساولو البرازيلية، وقدم له وزراء خارجية البرازيل وفنزويلا والجزائر، وكذلك وزير الثقافة البرازيلي جيلبيرتو جيل .

وقد ذكر رئيس مؤسسة المكتبة الوطنية في ريو دي جانيرو " مونيز سودريه " عن كيفية اكتشاف المخطوطة " اشترى هذه الوثيقة الخطية الماني من أيدي تركي، ووصلت مكتبة برلين ومنها إلى يد الدكتور باولو فرح^٨ .

ولقد توسع الدكتور باولو فرح في تحليل الجانب الثقافي والوصفي في المخطوطة، وكان تحليله ضعيفا للجانب الديني والدعوي لفترة إقامة الشيخ البغدادي بين المسلمين^٩.

رابعا : كتاب صراع اليهودية والإسلام في البرازيل، والكتاب قراءة في أدب عبد الرحمن البغدادي، ألفه الدكتور خالد محمد أبو الحسن مدرس اللغة التركية بأداب

^٧ إعلان الدوحة: نحن قادة الدول العربية ودول أمريكا الجنوبية المجتمعون في قمنا الثانية المنعقدة في الدوحة ٣١ / ٣ / ٢٠٠٩، بدعوة كريمة من حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر، وتنفيذا لما تقرر في قمنا الأولى التي انعقدت في برازيليا في ١٠-١١ / ٥ / ٢٠٠٥، بدعوة من فخامة السيد لويس ايناسيو لولا دا سيلفا رئيس جمهورية البرازيل الاتحادية الذي شارك في رئاسة القمة مع فخامة السيد عبدالعزيز بوتفليقة، رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية باعتباره رئيس القمة العربية، وحرصا منا على مواصلة العمل على تعزيز العلاقات العربية الأمريكية الجنوبية والاستفادة من فرصها المتاحة، وتنسيقا للجهود بين المجموعتين لإقامة تجمع قوي يمكن من خلاله تبادل المنافع وحماية المصالح المشتركة في إطار علاقات بناءة متينة نتفق على ما يلي:

ثالثا: التعاون في المجال الثقافي:

٢٥- الملاحظة بارتياح خاص النتائج الأولى للتعاون الثقافي فيما بين الاقليمين، والتي يمكن أن نلقي الضوء فيها على ما يلي:

ج- نشر المكتبة العربية الأمريكية الجنوبية- البرازيل كتاب مسلية الغريب لكل أمر عجيب، دراسة تحليلية عن رحلة الإمام البغدادي للأستاذ باولو فرح، باللغة العربية ولغات أخرى، وبدعم من المكتبات الوطنية للجزائر والبرازيل وفنزويلا، وسوف تضاف كتب أخرى لقائمة أعمال الاقليمين والتي سيجري ترجمتها ونشرها.

^٨ مقدمة مسلية الغريب بكل أمر عجيب ، باولو فرح .

^٩ <http://www.bibliaspa.com.br/obra.jsp?cod=1>

سوهاج، وقامت بنشره المكتبة المصرية عام ٢٠٠٩م، وواضح من دراسة الدكتور خالد أنه لم يصل إلى المخطوطة وإنما كان عمله قائما على ترجمة كتاب " المسلمون الأوائل في البرازيل " من اللغة التركية إلى اللغة العربية " وحينما بحثت في الأمر وجدت كتابا (مكتوبا باللغة التركية) لمؤلف بغدادى الأصل يدعى عبد الرحمن أفندي البغدادي عاش في كنف الدولة العثمانية وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر " ١٠، وقد أجاد الدكتور في تحليل الإساءات والتحريفات التي أدخلها المترجم اليهودي على الدين الإسلامي، وكان هذا اليهودي قد رافق الشيخ البغدادي مدة من الزمن قبل أن يكتشف أمره وكان يقوم بالتواصل بين الشيخ البغدادي ومسلمي البرازيل في المرحلة الأولى من إقامة بين المسلمين .

خامسا : "مسلية الغريب.. رحلة إلى أميركا الجنوبية" لعبد الرحمن البغدادي، وقام بتحقيقها الجزائري عبد الناصر خلاف وقد حصلت على جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة لعام ٢٠٠٩م والذي يقيمه المركز العربي للأدب الجغرافي- ارتياد الآفاق، ولم أستطع الحصول حتى الآن على صورة من هذا البحث .

سادسا : الشيخ عبد الرحمن البغدادي في بلاد السامبا، وهو تحليل على ثلاثة أجزاء قمت بكتابته، تم نشره على أكثر من موقع على شبكة الإنترنت، ثم كان هذا الجهد الذي ضمنته هذا الكتاب، لأنها مخطوطة جديرة بالتأمل والدراسة من أكثر من زاوية وتحتاج لكثير من التحليل، خصوصا أن الشيخ البغدادي رحمه الله وصف وصفا دقيقا كل مامر به وسمعه وشاهده خلال تلك الرحلة، وهي بلا شك مفتاح لدراسة أعمق لهذه الفترة التاريخية، وهذا سيساعد على إعادة صياغة تلك الفترة التي أهملت ولم توف حقها من الدراسات العمية .

سابعا : ندوة مسلمو البرازيل قاوموا عمليات التنصير في القرن ١٩، وهي عبارة عن ندوة ألقاها الدكتور مايكل جوميز أستاذ التاريخ والدراسات الإسلامية والشرق أوسطية بجامعة نيويورك، نظمتها كلية الدراسات الإسلامية بقطر في شهر مارس ٢٠١١م، وقد جاء في التقرير الذي تحدثت عن ندوته " وعرض جوميز لمخطوط الرحالة

عبدالرحمن البغدادى "مسلية الغريب" والذى زار باهيا عام ١٨٨٠ واجتمع مع المسلمين وتحدث معهم عن دينهم ١٨٨٠، ورأى بعض الآثار الإسلاميّة يعنى ما زالت موجودةً في بعض المسلمين العبيد، الذين كانوا يقومون ببعض الصلّوات، و قال في مخطوطه: لمّا نزلنا على سواحل السنّس - مدينة ساحلية - فأرادوا أن يصلّوا فلمّا أقاموا الصلّاة جاء بعض العبيد وأخذوا ينظرون إليهم، في اليوم الثاني ظلّوا أنّهم جاءوا ليستهزئوا بهم ويضحكوا عليهم، في اليوم الثّاني هؤلاء العبيد جاؤوا وشاركوا في الصلاة، وطلبوا منه أن يبقوا عامين معهم حتّى يعلمهم، فبقي هذا الرّجل حوالي سنّين ثمّ كتب هذا الكتاب، والكتاب الآن بعد التّبازل الآن بين دولة البرازيل وبعض الدّول العربيّة أوصوا بأن يُطبع، وأظنّ أنّه طبع في مدينة الجزائر، وموجود قيد التناؤل الآن، هذا التّواجد القديم "١١.

أرجو أن أكون قد بينت من خلال هذا المقدمة الضوء على عمل أدبي رائع لأحد علماء المسلمين الذين وهبوا أنفسهم للدعوة إلى الله وتحملوا الكثير من المصاعب خلال فترة زمنية كان البرتغاليون والكنيسة يعدون على المسلمين أنفاسهم، واستطاع هذا العالم الجليل خلال فترة وجوده أن يصصح الكثير من المفاهيم المغلوطة حول دين الإسلام، وأن يبعث روح العزة بين أبناء المسلمين مما دفعهم لهجر الكثير من العادات والمعاصي والعودة لتعلم العقيدة الإسلامية الصحيحة وشعائر الدين الإسلامي الحنيف، وقد أعطانا الشيخ البغدادى نموذجاً عن تحرك الداعية وسط الأقلية المسلمة، من خلال تبنيه لمذهب وسطي، واعتماده على فتاوى تراعى ظروف الحال، نسأل الله أن يتغمده بكامل رحماته وأن يحفظ المسلمين في كل زمان ومكان .